الحوار مع الأستاذ المهدي المنجرة يشكل باستمرار لحظة للإمتاع وللإستفادة، فمن موقع المطلع على الكثير من العلوم والمعارف.. وبعقلية الإنسان المتفتح والمتواضع والراغب في تناول مايريد الصحافي من المواضيع التي يشعر أن له إلماما بها، التقينا به لإجراء حوار معه، وكان الحدث، على غير إرادتنا، عدم حصول المغرب على ما كان يطمح إليه من تنظيم للمونديال،، وفي خضم ردود الأفعال التي أعقبت النتيجة التي أعلن عنها في زوريخ تم اللقاء بالمنجرة وانطلق النقاش معه حول عدم تمكن المغرب من احتضان المونديال وردود الأفعال الناجمة عن ذلك، وامتد النقاش إلى موقف النخبة من الوضع السياسي الراهن في المغرب، وما يجري من ذبح وتقتيل للشعبين الفلسطيني والعراقي والمقاومة الباسلة التي يخوضها هذان الشعبان وكأنهما في جبهة واحدة، ضد عدو واحد ألا وهو التحالف الأمريكي الإسرائيلي .. وكان الحوار التالي ..

أجرى الحوار: عبد السلام بنعيسى

المهدي المنجرة لـ النهار المغربية

بغداد لم تسقط.. بغداد ما زالت شامخة تقاوم

◆ لو كان للمسؤولين العرب 10 في المائة من الإصرار على التمسك بالكرامة لما وصلنا إلى هذه الدرجة من الإذلال

■ الأستاذ المهدي المنجرة سننتقل في هذا الجزء من الحوار من الشأن الوطني إلى مجال آخر من مجالات اهتماماتك ألا وهو قضايا العالم العربي،ولنبدأ بما يجري في العراق،فهذا بلد عربي تم احتلاله من طرف أمريكا،وحدث ذلك بمساهمة بعض الدول العربية،فكيف الحديث عن الإنتماء للوطن العربي الواحد في ظل تآمر دول عربية على العراق والمساهمة في إخضاعه للإحتلال؟

● في البداية أود أن اترحم على الشهداء الذين يتساقطون يوميا بالعشرات في فلسطين والعراق،وأدعو الله أن يسكنهم فسيح جناته،وأن يلهم ذويهم الصبر والسلوان،فالله كرم الشهداء وجعلهم أحياء يرزقون،وأغتنم هذه الفرصة لأقول إن كل روح تزهق في العراق أوفي فلسطين تقع على رقاب الحكام العرب والمسلمين،وسيحاسبهم الله عليها يوم تسود وجوه وتبيض وجوه،ولن ينفع لا مال ولا بنون.

وبخصوص السؤال ففي كتابي الحرب الحضارية قلت سنة 1990 إن الحرب ستقوم،وأوضحت لماذا ستندلع لحرب، وحين انطلقت الحرب قلت وقتها إن الحرب بدأت ولن تنتهي في المنظور القريب، وكتبت مقالا تحت عنوان"الوجه البشع للنظام العالمي الجديد" أشرح فيه الإعتبارات التي تجعل الحرب مستمرة،حدث هذا سنة1991 ،فبالنسبة لي لم افاجأ بما وقع بل كنت اتوقع هذا الذي حدث في كتب نشرت في بداية التسعينات.

■ وهل كنت تتوقع أن دولا عربية ستشارك في حرب احتلال العراق؟

● توقعت ما حدث، وكان توقعي كما أسلفت في سنة1991 ، فأكبر خيانة لطموحات الأمة العربية جرت فصولها ورُتبت من طرف الحكام العرب سنة 1991 ،ففي هذه السنة وقع التامر من جانب النظام الرسمي العربي على العراق لتدميره، وتم التامر فيما بعد من أجل احتلاله،فالأمور واضحة ولا تحتاج إلى من يوضحها،فنحن نعيش فصولها ونشاهدها بالعين المجردة.

■ البعض يقول إن النظام العراقي السابق تصرف بشكل أهوج وسهل المأمورية على المتآمرين عليه..

● أنا لا أدافع عن النظام العراقي السابق،فلم يسبق لي في حياتي أن دافعت عن أي نظام كيفما كان،أنا اتكلم عن الشعب

القمة العربية في تونس أعلنت السعودية عن الزيادة في حجم إنتاجها من النفط لإغراق السوق وتخفيض الأسعار،فالمناسبة شرط كما يقال وهي غنية بالدلالات..

■ قد تقول السعودية إن الزيادة في حجم الإنتاج من النفط، الهدف منها الحفاظ على إستقرار الأسعار،لأن في ذلك مصلحة للدول المصدرة لهذه المادة ..

● ليس لهذا الكلام اي أساس من الصحة ويتناقض مع الخطاب الإقتصادي السائد عالميا اليوم،فالليبيرالية في مبادئها الأولية تحث على ما تسميه حقيقة الأسعار،وشعارها الرئيسي هو أن السوق هي التي يجب أن تتحكم في أثمنة السلع عن طريق آلية العرض والطلب،فهذا واحد من الشروط الأساسية التي تفرضها المؤسسات المالية الدولية لمنح القروض للدول الفقيرة،وهي تسمي الإستجابة لهذه الشروط إصلاحات يتعين القيام بها ليتم التعاون بين تلك المؤسسات والدول المحتاجة إلى القروض..

فهذه هي الليبيرالية، أما عندما يتم التدخل في تحديد الأسعار بقرارت سياسية،ففي هذه الحالة تنتفي الليبيرالية الإقتصادية ونصبح أمام تجاوب مع ضغوط ممارسة من جانب الإدارة الأمريكية الحالية لتوفير الأجواء لجورج بوش الابن لكي يتم انتخابه لولاية ثانية،ومن هي الدولة التي تساهم عمليا على المستوى الإقتصادي في الدعاية لحملة بوش الإنتخابية إنها السعودية بقرارها الرفع من حجم الإنتاج من النفط لتخفيض أسعاره،والملفت هو التوقيت الذي اختارته لاتخاذ القرار حيث لم تجد الوقت المناسب لذلك إلا مع افتتاح أشغال مؤتمر القمة العربي..

■ الزيادة في أسعار النفط قد تؤدي إلى اضطراب اقتصادي عالمي وإلى الإستثمار في التنقيب عن طاقات بديلة مما قد ينعكس سلبا على الدول المصدرة للبترول..

● لا أظن أن أمريكا ستبحث عن طاقة بديلة لتتخلى عن البترول،فهي تتحكم في العالم اليوم عن طريق هذه المادة،ولها منها في أراضيها مخزون ضخم جدا تعتبره مخزونا استراتيجيا،لذلك سيظل للبترول دوره المحوري،والحديث عن استبداله غير مطروح على المدى المنظور وإلا أين ستذهب الآلاف من الشركات العملاقة

في المائة من هذا الإصرار على التمسك بالكرامة لما وصلنا إلى هذه الدرجة من الإذلال الذي نحن عليه الآن.

■ ولكن جامعة الدول العربية اعترفت بمجلس الحكم الإنتقالي الذي يحتل اليوم مقعد العراق في الجامعة..

● الجامعة العربية منطقية مع نفسها ومع تاريخها، فلقد أنشئت في الأربعينات من طرف الإنجليز،والقوة التي أنشأت الجامعة ما زالت تتحكم فيها وتُصدر لها الأوامر التي تنفذها،وطبعا الذين عينوا مجلس الحكم المشبوه هم الذين أعطوا التعليمات للأنظمة العربية للإعتراف به في الجامعة العربية.

■ يوم سقوط بغداد جعل منه أعضاء مجلس الحكم الإنتقالي عيدا وطنيا، ماذا يعني هذا؟

● بغداد لم تسقط،بغداد ما زالت شامخة تقاوم،الذين سقطوا في نظر شعوبهم وفي نظر العالم هم الحكام العرب،وفيما يتعلق بما يسمى بمجلس الحكم الإنتقالي،فالإعلام الأمريكي في زمن العولمة هو الذي يحدد لنا المجالات التي نتكلم فيها وحتى المصطلحات التي نستعملها،والحديث عن هؤلاء العملاء والخونة والمرتزقة يعطيهم قدرا من المشروعية التي لا يملكون منها أي شيء،ولذلك انا لا أقبل الحديث عنهم وعما يصدر عنهم.

■ يقال عن الجامعة العربية إنها خيمة العرب التي تجمعهم على الحد الأدنى من الأشياء التي يمكنهم الإتفاق حولها..

● لا أعلم ما علاقة الجامعة بالخيمة العربية المرتبطة في الذهنية الجماعية العربية بالشهامة والشجاعة والنخوة والكرامة،العالم يستهزئ منا اليوم،تصور أن في مؤتمر القمة العربي الأخير ألقى احدهم خطابا تحدث فيه بإسهاب عن الديمقراطية والتعددية واحترام حقوق الإنسان،علما بان بلد هذا الحاكم صاحب الخطاب تحول إلى سجن كبير بشهادة مواطنيه والمنظمات الدولية التي تُعنى بالدفاع عن حقوق الإنسان. فهذه هي الإهانة حيث الأدوار مقلوبة.

■ وماذا عن التعذيب الوحشي الذي تعرض له الأسرى العراقيون في سجن أبو غريب؟

● لما لا نبدأ بسجن غوانتنامو،فما يجري في هذا السجن غير

العراقي،وأنا أقولها للمرة الألف، الحرب شنت لأسباب لا علاقة لها بالنظام السابق،لقد حدث من بين أسباب الحرب،أن الولايات المتحدة الأمريكية بعد انهيار الإتحاد السوفياتي وبعد أن صارت هي القوة الوحيدة في العالم لم يعد بإمكانها استساغة وجود دولة عربية، في منطقة الخليج بثروتها البترولية وحيويتها الإستراتيجية،تنمو وتتجه نحو الإستقلال عن سيطرتها،هذه الدولة التي هي العراق..

كما أن الآلة العسكرية للعراق حققت خبرة أصبح من شانها تهديد الكيان الصهيوني المزروع في المنطقة،ولقد أدرك الغرب أهمية العراق كمهد للثقافات وكارض للذاكرة العربية والإسلامية الشيء الذي يهدد أطماعه في سيادة ثقافته وقيمه الغربية بالمنطقة..فهذا كلام قلته سابقا و منشور في كتبي،و هاهو يتأكد اليوم..

■ إذن قد يقول قائل حسب تحليلك لم يكن بإمكان الحكومات العربية القيام بأي شيء أمام هذا المخطط الذي كان جاهزا..

م.م: الحكومات العربية في وضعها الراهن عاجزة عن القيام بأي شيء،وأحسن ما كان ينبغي عليها القيام به في المؤتمر الأخير الذي انعقد بتونس تقديم استقالتها بشكل جماعي.

● قد يحدث الفراغ ولن نجد من يسير شؤون العالم العربي..

م.م: الطبيعة ترفض الفراغ،فالمهم هو استقالة هذه الحكومات كاعتراف من جانبها بالعجز والفشل،ولا يهمها من سيسير شؤوننا، فلقد فشل النظام الرسمي العربي في تحرير فلسطين بالحرب وبما أسموه السلام، وفشلت الأنظمة في تحقيق التنمية وفي إنجاز الديمقراطية وتحقيق مستوى مقبول من التضامن العربي يحافظ على الكرامة،بل الأخطر هو التامر من أجل احتلال بلد عربي،فماذا يمكن انتظاره من هذه الأنظمة؟ لقد نجحت في تعميم القمع والتسلط والديكتاتورية والفساد ونهب خيرات الوطن العربي.

■ماذا بإمكان النظام الرسمي العربي في ظل هيمنة القطب الأمريكي الواحد،فالعين بصيرة واليد قصيرة كما يقال..

● هذا السؤال لا ينبغي طرحه،فهذه الأنظمة كانت منذ عهود غابرة متحالفة مع أمريكا،وكلها تحظى بدعم من الإدارة الأمريكية،ولا أحد منها يقول إن له خلافات أو مشاكل مع واشنطن،ثم نحن في العالم العربي نتراجع إلى الوراء.

ففي حرب أكتوبر سنة1973 وقع حظر النفط على أمريكا والدول المساندة لإسرائيل،ولقد انقلب العالم رأسا على عقب جراء ذلك القرار ،وكان له تأثير كبير في خدمة القضية العربية وقتها..أما اليوم ففي اللحظة التي افتتحت فيها أشغال



التي تستثمر ملايير الدولارات في هذا القطاع وتشغل الملايين من اليد العاملة وتخلق رواجا اقتصاديا يشكل جزءا رئيسيا من الحركة الإقتصادية الموجودة اليوم في الدول الصناعية.

هذا عن الطاقة البديلة، أما بخصوص التدخل لجهة عدم الزيادة في سعر البترول تجنبا لحدوث اضطراب اقتصادي عالمي،فانا في هذا الباب أدعو إلى مراجعة سعر أي مادة من المواد التكنلوجية التي نستوردها من الغرب،ولنقارن بين الزيادات التي طالت أسعارها خلال الثلاثين سنة الماضية،وبين تلك التي عرفها سعر النفط منذ حرب أكتوبر إلى اليوم، فبهذه المقارنة سيتبين لنا أن السلعة الوحيدة التي سعرها ينخفض ربما هي البترول. هذا دون الحديث عن القضايا الأخرى المرتبطة بها الموضوع.

■ ما هي هذه القضايا؟

● هذه القضايا يمكن إجمالها في كون الجزء المهم من عائدات البترول تذهب إلى جيوب أرباب الشركات المتعددة الجنسيات، والجزء المتبقي يُحتفظ به كودائع في البنوك الأمريكية والغربية عموما ،والفتات هو الذي يصل إلى البلدان العربية المصدرة،وحتى هذا الجزء الضئيل فإنه يُبدد في الإنفاق غير المعقلن من طرف البيروقراطية المحلية.

■ لنعد إلى قضية العراق، فالمقاومة العراقية فاجأت العالم ببسالتها وبجرأتها وبقدرتها على مقارعة المحتل،أين نحن من الحملة الإعلامية التي كانت تقول إن العراقيين سيستقبلون الأمريكيين بالموسيقى والحلوى،وأنت الأستاذ المهدي هل فاجأتك المقاومة العراقية وهل كنت تتوقع أنها ستكون بهذه الجرأة والكفاءة؟

● مرة أخرى ساعود بك إلى ما كتبته عن العراق سنة 1991 ،لقد قلت وقتها أنا لا أخشى على العراق،ولقد قلت إن أمريكا ستفشل في العراق،فهذا شعب تعلم ووصل إلى مستوى لا باس به في محاربة الأمية بقطع النظر عن نظامه السياسي السابق،ووصل إلى مستوى محترم في مجال البحث العلمي..وهذا شعب له مبدعون كبار في الرسم والشعر والموسيقى وله علماء أجلاء، وله تاريخ مجيد بقيم حضارية راقية،فإذا استحضرنا هذه المعطيات كيف يحق لنا أن نفاجأ باندلاع مقاومة باسلة وجريئة تذيق حاليا ألوان الإهانة للأمريكان؟

■ هذه المقاومة ألا تزعج الأنظمة العربية؟

● ذبابة صغيرة يمكنها إزعاج الأنظمة العربية إذا مرت فوق رأسها،فالتعاطف الشعبي يزداد مع المقاومة في العراق ،وأمريكا تتورط يوما عن آخر في المستنقع العراقي،ويوم خروجها مهزومة مذعورة من العراق قريب،وساعتها ستتعرى هذه الأنظمة التي عاشت تردد على مسامع الشعوب العربية أن أمريكا قوة لا تقهر وان الحل الممكن هو الإستسلام لمشيئتها.

■ هل نحن أمام فيتنام جديدة في العراق؟

● المقارنات لها حدود،ولا يجوز إجراؤها حيث لا تستقيم، فالمقاومة العراقية سوف لن تكون لا كحرب الريف التي خاضها البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي،ولا كحرب التحرير الجزائرية،ولا كحرب الفيتنام،المقاومة العراقية لها شروطها وظروفها وستكون لها خصوصيتها التي تميزها عن سابقاتها،والأساسي هو أن مصدرها بسيط و معروف، فالشعوب لا تقبل الإحتلال، ولا تقبل الظلم المفروض عليها،وردود أفعالها تأتي دائما في حجم الإعتداءات التي تتعرض لها، فصبر الشعوب قد يطول ولكن انفجاراتها تكون أحيانا قوية ومدمرة، وهذا هو ما وقع لأمريكا في العراق.

■ وكيف غابت هذه البديهيات عن العقل الأمريكي؟

● الغطرسة والجهل،ونحمد الله على الجهل الذي يعيش فيه المسؤولون الأمريكيون،فلقد اعتقدوا أنهم باحتلالهم للعراق وسيطرتهم على بغداد قد فرضوا السيطرة على الشعب العراقي،غير أن الأحداث أثبتت العكس، فالذي لا نذكره هو أن القنابل لم تتوقف عن السقوط على العراق منذ1991 إلى يومنا هذا،وفي الشهر الماضي لوحده استشهد أكثر من ألف عراقي،فمن هو الشعب الذي لديه هذه الطاقة على الصمود والتصدي و الإعتزاز بالكرامة الوطنية.

أنا كلي يقين بأن قوة العراقيين تكمن في اعتزازهم بكرامتهم، وقوة الفلسطينيين تتجلى في تشبثهم هم كذلك بكرامتهم،ولو كان للمسؤولين في العالم العربي 10

معروف إلى اليوم،ولماذا لا نعود إلى التاريخ للحديث عن الإبادة التي تعرض لها الهنود الحمر؟ لماذا لا نذكر إلقاء القنابل النووية على اليابان دون حتى أن تكون هناك حاجة عسكرية ملحة لاستعمال هذا السلاح المدمر والفتاك؟ لماذا لا نعود إلى ما جرى في فيتنام؟ تاريخ أمريكا الدموي معروف، وهي اليوم القوة الوحيدة في العالم،وبقدر ما تزداد قوتها المادية و التدميرية،بقدر ما تنقص قوتها العقلية والعاطفية والإنسانية، ولذلك ليس فيما جرى بسجن "أبوغريب" ما يدعو للإستغراب.

■ وإلى أين تمضي القضية الفلسطينية والإنتفاضة الثانية تجاوزت سنتها الثالثة؟

● الإنتفاضة الفلسطينية تجاوزت 56سنة وليس العام الثالث فقط،و لا أظن أن هذه الإنتفاضة ستتوقف،إنها رد فعل على الظلم،إنها تعبير عن عد م قبول العيش في الذل والهوان،فانظر ما جرى في رفح مؤخرا وقارنه بما جرى في نفس اللحظة بالكوفة والنجف وكربلاء، فنحن أمام همجية استيريوفونية،فما يقع في العراق من قتل للبشر ومن تدمير للمنازل، يقابله ويماثله قتل وتدمير في فلسطين،فنحن أمام تناسق بين ما يجري هنا وهناك، فالطريقة التي حوصرت ودمرت بها جنين من طرف الإسرائيليين،هي نفسها التي اعتمدت من جانب الأمريكيين في الفلوجة..

ن.م: إسرائيل ترتكب المجازر ضد الشعب الفسطيني والحكام العرب ما زاولوا على اتصالاتهم بشارون ويُمنون النفس بأنه سيتحول إلى رجل سلام، هل يعقل أن تستمر الإتصالات العربية مع سفاح من هذا القبيل؟

تاريخ القضية الفلسطينية يشهد على خيانات الحكام العرب، فالخيانات للقضية الفلسطينية ولدت مع ظهور الدولة العبرية وما زالت مستمرة إلى اليوم، وأكبر ضمانة لبقاء إسرائيل هي استمرار السياسات التي تنهجها الحكومات العربية على حالها. العالم العربي يُنفق سنويا عشرات الملايير من الدولارات لشراء الأسلحة،ولكن لماذا تُشترى هذه الأسلحة وأين تُستعمل باستثناء قمع الشعوب؟ هل سبق لطائرة عربية أن حلقت فوق سماء إسرائيل وألقت قنبلة على تجمع عسكري لجيشها ردا على ما يرتكبه من جرائم ضد الشعب الفلسطيني ؟ الجواب طبعا هولا.

■ الأمر نابع ربما من كون العرب أصبحوا يعتبرون السلام خيارهم الإستراتيجي ..

● عن أي سلام يتحدثون؟هل السلام هو أن نبيع أنفسنا للأمريكيين وللإسرائيليين؟ هل السلام هو القبول بالذل و الإهانة؟ هذا ليس سلاما إنه استسلام واضح حتى وإن أردوا إخفاءه باستبداله بالحديث في الإعلام عنه على أساس أنه سلام..

■ ومع كل هذا، هل إسرائيل مستقبل في المنطقة العربية؟

● كما هي لا، وأنا أتكلم هنا على الأمد الطويل، أي بعد 50 سنة من الآن،فعمر إسرائيل اليوم 56سنة،ولقد أنشئت بالهجرة اليهودية المكثفة صوب فلسطين،وباستغلالها البشع لما جرى لليهود على أيدي النازيين،وأظن أنها استنزفت هذا العامل إلى أبعد الحدود، وإزاء ما ترتكبه من مجازر ضد الفلسطينيين،لم تعد هذه الدعاية قادرة على جلب مزيد من اليهود إلى فلسطين بل هناك هجرة مضادة اليوم.

كما أن التطور التكنلوجي خصوصا في المجال العسكري ينمو بشكل رهيب،والخبرة العربية في المهجر تزداد والكفاءات العربية تتطور،والأوضاع السياسية تتغير بحكم طبيعة الحياة وتحولاتها، وفي اليوم الذي تصبح فيه للعرب أنظمة حكم تستمد شرعيتها من شعوبها وتوظف إمكانيات الأمة من أجل نموها وازدهارها،وقتها كل الكفاءات العربية الموجودة في الخارج ستعود لوطنها العربي وستُشغل طاقاتها لبنائه على جميع المستويات ومنها المستوى العسكري ،و لا أظن أن في وضع من هذا القبيل سيبقى التفوق لإسرائيل..هذا دون الحديث عن العامل الديمغرافي الذي لا يلعب لصالحها،والعمق الإستراتيجي للعرب الذي لا تملك منه أي شيء إسرائيل.

■ كلمتك الأخيرة..

● رغم الطابع المتشائم الذي يبدو في خطابي الراهن فانا متفائل على المدى البعيد،ففي اليوم الذي يمشي فيه الإنسان العربي في الشارع مرفوع الرأس دون شعور بالخوف، يومها ستزول المرتكزات التي تستند عليها كل من أمريكا وإسرائيل للهيمنة على المنطقة العربية،وهذا اليوم آت بفضل نضالات الشعوب وتضحياتها